مجلة إشكالات في اللغة والأدب

مجلة مُحكّمة فصلية ومصنفة في قسم (ج) - تصدر عن جامعة تامنغست (الجزائر)،
تعنى بالدراسات اللغوية والأدبية والنقدية باللغات: العربية والفرنسية والإنجليزية

Issn. 2335-1586
Eissn. E ISSN: 2600-6634

عدد 4، مجلد 14، جمادى الثانية 1447- ديسمبر 2025

منشورات جامعة تامنغست 2025

مجلة إشكالات في اللغة والأدب
عدد 4، مجلد 14، جمادى الثانية 1447- ديسمبر 2025

ICHKALAT JOURNAL

LINGUISTIC, LITERARY, CRITICAL STUDIES

A peer-reviewed quarterly scientific journal published by the University of Tamanghasset (Algeria). Dedicated to linguistic, literary and critical studies in Arabic, English and French.

Issue no. 4, Volume 14, December 2025

ISSN : 2335-1586

Tamanghasset University Publications- 2025

مجلة كلمات

مجلة فصلية محكمة تصدر عن جامعة تامنغست (الجزائر)
تُعنى بالدراسات الأدبية واللغوية والنقدية باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية

مجلد 14 عدد 4

[الرقم التسلسلي للعدد 46]

جمادى الثانية 1447/ هـ - ديسمبر 2025 م

المجلة مصنفة في قسم (ج)
ضمن المجلات العلمية الجزائرية

المـــــراسلات

العنوان: ص.ب 10034 سرسوف - تمنراست . الجزائر

هـــاتف رئيس التحرير :0666215077 (213)

https://ichkalat.univ-tamanrasset.dz/

Email : ichkalatmag@gmail.com

رابط المجلة على البوابة الجزائرية للمجلات العلمية:

http/www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/238

رقم الإيداع القانوني: 169-2012

Issn :2335-1586

e.issn :2600-6634

معامل التأثير أرسيف العام لسنة 2025 : (0.1034)

مفهرسة في:

ASJP Algerian Scientific Journal Platform
AraBase قاعدة معلومات اللغة والأدب
AskZad Academic Digital Library المكتبة الرقمية العربية
Arcif Analytics معرفة E-MAREFA

منشورات جامعة تامنغست

مجلة كلات

ICHKALAT JOURNAL
(Linguistic , Literary and critical Studies)

quarterly journal issued by the University of Tamanghasset (Algeria) It deals with literary, linguistic and critical studies, in Arabic, English and French

Volume 14 Issue no 4 December 2025

Arcif Influence Factor for 2025(0.1034)

The magazine is classified in section (C).
Among the Algerian scientific journals

CORRESPONDENCE

B.P. 10034 Sersouf-Tamanghasset- Algeria
Tel: (213) 0666215077

Email :ichkalatmag@gmail.com

Web site. https://ichkalat.cu-tamanrasset.dz/

The journal's link on the Algerian portal for scientific journals:
http/www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/238

Legal deposit number: 2012-169
Issn:2335-1586 / E.issn:2600-6634

Indexed in

ASJP Algerian Scientific Journal Platform
AraBase قاعدة معلومات اللغة والأدب
AskZad Academic Digital Library المكتبة الرقمية العربية
Arcif Analytics معرفة E-MAREFA

Tamanghasset University Publications

قواعد النشر في المجلة

ترحب المجلة بمشاركة الباحثين من كل الجامعات ومراكز البحث من جميع أنحاء العالم، وتقبل الدراسات والبحوث المتخصصة في القضايا الأدبية واللغوية والنقدية باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية وفق القواعد الآتية:

- أن يتسم البحث بالأصالة النّظرية والإسهام العلمي.
- أن يكتب على نموذج ورقة مجلة إشكالات (يحمل من موقع المجلة على البوابة) ببرنامج (word) على ورقة بمقاس(17سم×24سم) بخط (Arabic Typesetting) حجم (16) للمتن و(14) للحواشي، بما لا يقلّ عن (12) صفحة ولا يتجاوز (20) صفحة، بما فيها قائمة المراجع.
- تخصص الصفحة الأولى لعنوان البحث، واسم الباحث ودرجته العلمية ، وبريده الإلكتروني، ورقم هاتفه، وملخص باللغة العربية في لا يزيد عن عشرة أسطر (10) ومثله باللغة الإنجليزية، على أن تكون الترجمة دقيقة. (ضرورة تجنب ترجمة قوقل الحرفية)، إضافة إلى كلمات مفتاحية أسفل كل الملخص.
- أن يبدأ البحث بتمهيد أو مقدمة أو مدخل، وينتهي بخاتمة ونتائج. كما يطلب تقسيم البحث إلى عناوين فرعية.
- توضع الرسوم والبيانات في شكل صورة ليتسنى تعديلها في صفحة المجلة.
- تخضع البحوث المقدمة للتحكيم العلمي قبل نشره
- ضرورة التزام الباحث بالأمانة العلمية، ويتعهد بعدم نشر البحث من قبل في أية مطبوعة أو مجلة. (يحرر الباحث تعهدا بملكية المقال، وبعدم نشره، في وثيقة ترسل إليه عقب قبول توجيه البحث إلى التحكيم).
- إلزامية حسن التّوثيق بذكر المصادر والمراجع من خلال التهميش الأكاديمي في الصفحة الأخيرة من المقال، على أن يكون التهميش آليا ومن دون إدراج الأقواس في أرقامه.
- يرسل البحث حصرا عن طريق البوابة الجزائرية للمجلات العلمية ASJP على الرابط:
.http/www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/238
- قواعد النشر التفصيلية موجودة بنموذج ورقة المجلة، على الباحث الالتزام ب

يتحمل صاحب المقال مسؤولية محتوى مادته العلمية،
ومسؤولية إخلاله بالأمانة العلمية

مجلة إشكالات

Publishing rules of the journal

The journal welcomes the participation of researchers from all Algerian, Arab and foreign universities and research centers, and accepts studies and research specialized in literary, human, social and scientific issues in Arabic, English and French according to the following rules:

-Research should be characterized by theoretical originality and scientific contribution.

- To be written on the form of Ishkalat journal paper (carried from the journal's website on the portal) on format (word) on a sheet of paper size (17 cm x 24 cm) in the font (Times New Roman) size (12) for the board and (11) for footnotes, not exceeding (20) pages and not less than (11) pages.

- The first page is devoted to the title of the research, the name of the researcher and his degree, his e-mail, his phone number, and a summary in English between 7 and 10 lines.

- The research should begin with a preface or an introduction and ends with a conclusion or results. It is also required that the search be divided into subtitles.

- Figures and graphs should be in the form of an image so that they can be modified in the journal's page.

-The submitted research is subject to scientific arbitration prior to publication.

-The researcher must adhere to the scientific integrity, and assures not to publish the research before in any publication or journal. (The researcher should make a declaration of ownership of the article and not publish it before, in a document to be sent to him after accepting the research to be directed to arbitration).

-Mandatory documentation by citing sources and references through academic marginalization on the last page of the article, provided that the marginalization is automatic and without the inclusion of brackets in its numbers.

-The research should be exclusively sent through the Algerian portal for scientific journals ASJP at:

http/www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/238

The author is responsible for his scientific content
And he bears responsibility for the breach of scientific honesty

مجلة كلالات

(مدير المجلة الشرفي) أ.د. الغالي بن لباد (مدير جامعة تامنغست)

(رئيس التحرير) أ.د. رمضان حينوني

(المحررون المساعدون)

1	مصطفى أحمد قنبر	جامعة قطر	2	خضر محمد أبو جحجوح	الجامعة الإسلامية بغزة
3	هوارية الحاج علي	م.و.ب.ع.ت.ت.ل.ع- الجزائر.	4	حنينة طبيش	جامعة خنشلة- الجزائر
5	عبد القادر رحماني	جامعة الجزائر2	6	جميلة غريب	جامعة عنابة- الجزائر
7	زينب رضا حمودي الجويد	جامعة بابل- العراق	8	الحياني محمود خليف	الجامعة التقنية الشمالية - العراق
9	علي عبد الأمير عباس الخميس	جامعة بابل - العراق	10	خليل أبو جراد	جامعة القدس المفتوحة- فلسطين
11	عبد الرحيم البار	جامعة جيجل-الجزائر	12	نصيرة شيادي	جامعة تلمسان-الجزائر
13	معاذ مقري	جامعة الشلف-الجزائر	14	عبد الله لأطرش	م .ج بتندوف- الجزائر
15	عبد القادر رحماني	جامعة الجزائر2	16	فريد عوف	جامعة جيجل-الجزائر
17	BENEDDRA Mohammed Rachid	Univ. Tlemcen-Algerie	18	Houamdi Djamila	Univ- Alger 2
19	MELOUAH Sabrina	Univ. Annaba-Algeria	20	Baghzou Sabrina	Univ. Khenchela-Algeria
21	Senoussi Mohammed	Univ. M'sila-Algeria	22	Abdeldayem Fedaa	Ahram Canadian University, Egypt
23	MAKHLOUF Kouider	Univ - Chlef	24	Amina Abdelhadi	Univ. Tiaret Algeria

(فريق المراجعة) داخل الجزائر

1	عبد الجليل منقور	جـامعة عين تموشنت	2	يـوسف وسطاني	جـامعة سطيف2
3	لقمان شاكر	جـامعة أم البواقي	4	مليكة بن بوزة	جـامعة الجزائر2
5	بركة بوشيبة	جـامعة بشار	6	إدريس بن خويا	جامعة أدرار
7	جلال خشاب	جامـعة سوق أهراس	8	حبيب بوزوادة	جـامعة معسكر
9	عمر بوقمرة	جـامعة الشلف	10	عبد القادر شارف	جـامعة الشلف
11	م. الصالح بوضياف	الم. الج. النـــعامة	12	بلخير أرفيس	جـامعة المسيلة
13	حميد قـبايلي	جـامعة أم البواقي	14	سعيد خليفي	جامعة غيليزان
15	عامر رضا	المركز الجـامعي بميلة	16	مومن مــزوري	جامعة بشار
17	بوبكر بوشيبة	جـامعة بشار	18	فريدة مقلاتي	جامـعة خنشلة

19	محمود فتـوح	جامعة تيسمسيلت	20	السعيد ضيف الله	جامعة الجزائر2
21	حفيظة تزروتي	جامـعة الجزائر2	22	نسيمة كريبع	م. الجـامعي بميلة
23	مبارك بلالي	جـامعة أدرار	24	محمود رزايقية	جامعة تيسمسيلت
25	عزوز ميلود	جـــامعة تيارت	26	د حليمة عواج	جـامعة باتنة1
27	بوبكر معازيز	جامعة تيارت	28	ثابت طارق	جـامعة باتنة1
29	يحي حاج امحمد	جـامعة غرداية	30	دريس محمد أمين	جـامعة معسكر
31	محمد عروس	جـامعة الجزائر2	32	أحمد بناني	جامعة تامنغست
33	عيسى بريهمات	جـامعة الأغواط	34	عائشة عبيزة	جامعة الأغواط
35	أحمد حفيـــدي	جامعة تامنغست	36	أحمد كامش	جامعة خنشلة
37	صورية جـــغبوب	جامعة خنشلة	38	محمد كنتاوي	جـامعة أدرار
39	يحي بن يحي	جـامعة غرداية	40	سماح بن خروف	ج - برج بوعريريج
41	سعد لخضاري	جـامعة البويرة	42	د جمال بلعربي	م.ب.ع.ت.ت.ع
43	زهور شتوح	جـامعة باتنة1	44	خديجة الشامخة	جامعة غرداية
45	كريمة سالمي	جامعة تيزي وزو	46	الحاج براهيمي	جـــامعة الجلفة
47	بركاني محمد رضا	جـامعة الطارف	48	عماد شارف	جـامعة سوق أهراس
49	صورية داودي	جامعة سوق أهراس	50	حسين دحـو	جامعة ورقلة
51	عبد القادر بقادر	جامعة ورقلة	52	عثماني بولرباح	جامعة الأغواط
53	فيصل الأحمر	جامعة جيجل	54	معزوز عبد الحليم	جامعة ميلة
55	عبلة معاندي	جامعة بجاية	56	مصطفى بن عطية	جامعة المسيلة
57	تسعديت لحول	جامعة بجاية	58	محمد مدور	جامعة غرداية
59	لزهر مساعدية	ج.ع. الإس. قسنطينة	60	هشام فروم	جامعة الطارف
61	فاطمة مختاري	جامعة الأغواط	62	عمر بلخير	جامعة تيزي وزو
63	كمال عمامرة	جامعة الشلف	64	عليك الكايسة	جامعة بجاية
65	خضرة حمراوي	جامعة عنابة	66	حمدان سليم	جامعة الوادي
67	عائشة حمعي	جامعة المدية	68	العربي بومسحة	جامعة تيسمسيلت
69	بوعامر بوعلام	جامعة غرداية	70	محمد بوزيدي	جامعة معسكر
71	علي بن فتاشة	جامعة بومرداس	72	إيمان ملال	جامعة خنشلة
73	محمد ملياني	تلمسان	74	عبد الله بن صفية	جامعة برج بوعريريج
75	مبروك دريدي	جامعة سطيف2	76	عبد القادر خليف	جامعة تبسة
77	حميدة سعاد	المركز الجامعي لميلة	78	أحمد حاجي	جامعة ورقلة

79	عائشة جمعي	جامعة المدية	80	د . إيمان جربوعة	جامعة منتوري قسنطينة
81	عبد المالك جديعي	جامعة الوادي	82	سمير معزوزن	المركز الجامعي لميلة
83	صباغ إيمان	جامعة الجزائر2	84	لخضر حاكمي	جامعة سعيدة
85	جعيرن ميهوب	جامعة الأغواط	86	عبد المالك مغشيش	جامعة خنشلة
87	إلهام سناني	جامعة سكيكدة	88	د العيد جـلولي	جـامعة ورقلة
89	عائشة عبيد	ج. منتوري – قسنطينة	90	زهيرة بارش	جامعة سطيف2
91	برقرق ريمة	جامعة سطيف2	92	فتيحة بلحاجي	المركز الجامعي بمغنية
93	نواري بن حنيش	جامعة الجلفة	94	صفية بن زينة	جامعة الشلف
95	نعمان مح. المختار	جامعة تامنغست	96	أحمد بوعافية	جامعة تامنغست
97	محمد بكادي	جامعة تامنغست	98	سعاد ميس	جامعة تيارت
99	خولة ميسي	جامعة سوق أهراس	100	نسيمة قطاف	جامعة عنابة
101	حورية نماري	م.ب.ع.ت.ت.ل.ع	102	آمنة مناع	جامعة ورقلة
103	نسيمة مساعدية	جامعة خنشلة	104	مريم حكوم	جامعة بشار
105	لوصيف غنية	جامعة البويرة	106	صليحة لطرش	جامعة البويرة
107	نعيمة كناز	جامعة عنابة	108	قري عالية	جامعة خنشلة
109	الحاج قديدح	جامعة جيجل	200	فضيلة مسعودي	م.ج. مغنية
201	عمر بن يحي	جامعة تامنغست	202	فاطمة الزهراء عطية	م.ج. بريكة
203	وهيبة دربالي	جامعة المسيلة	204	فتيحة عاشوري	جامعة الطارف
205	محمد بلوافي	جامعة تامنغست	206	نورة بعيو	جامعة تيزي وزو
207	عواطف قاسمي	جامعة المدية	208	نعيمة سعدية	جامعة بسكرة
209	جيلالي كاملين	م. العليا – بشار	210	عمر يوسف	جامعة تبسة
211	إبراهيم بشار	جامعة بسكرة	212	مبروك بركات	م.ب.ع.ت.ل.ع
213	شهرة بلغول	جامعة أم البواقي	214	كريمة بلخامسة	جامعة بجاية
215	نور الدين بن نعيجة	م.ب.ع.إ. الأغواط	216	بن دحان شريف	جامعة بشار
217	عبد الرحمن بن زورة	جامعة مستغانم	218	مختار بزاوية	جامعة معسكر
219	رياض بن يوسف	جامعة قسنطينة	220	رحمة الله أوريسي	جامعة تبسة

(فريق المراجعة) خارج الجزائر

1	أمجد طلافحة	ج. اليرموك– الأردن	2	أبو عواد فريال	الجـامعة الأردنية
3	صائد شديد	جـامعة قطر	4	محمد مح. محـاسنة	(الأردن)
5	أحمد فرحات	مصر	6	غصاب منصور الصقر	سلطنة عمان

7	أحمد محمد بشارات	كليات التقنية العليا الإمارات	8	فاطمة النصيرات	كليات التقنية العليا الإمارات
9	رائد الدايــة	جامعة فلسطين بغزة	10	عبد الرحيم حمدان	جامعة فلسطين بغزة
11	أحمد علي علي لقم	جامعة سطام بن عبد العزيز– السعودية	12	. نور الدين السافي	ج. الملك فيصل – السعودية)
13	عاهد طه عيال سلمان	كليات التقنية العليا الإمارات	14	أبو المعاطي الرمادي	ج. الملك سعود – السعودية
15	أشواق محمد النجار	العراق	16	محمد الشكري	جامعة الكوفة– العراق
17	نبراس حسين العزاوي	جامعة بغداد	18	محمد جواد البدراني	جامعة البصرة/العراق
19	وليد الجويد	المعهد الوطني للبحوث التربوية– العراق	20	حنان رضا حمودي الجويد	جامعة بابل
21	عمار الوحيدي	وكالة الغوث – فلسطين	22	يحيى غبن	جامعة الأقصى فلسطين
23	عباس يداللهي فارساني	جامعة شهيد تشمران أهواز	24	مصطفى شعيان	جامعة القوميات– الصين
25	حنان حمودي الجويد	جامعة بابل– العراق	26	محمود قدوم	جامعة بارتن– تركيا
27	تهاني سالم أبو صلاح	جامعة غزة	28	نعمان بوقرة	جامعة أم القرى
29	هناء الشلول	جامعة جدارا– الأردن	30	ضياء العبودي	جامعة ذي قار– العراق

مجلة كلمات

Honorary Director

Pr.Abdelghani Choucha (Rector of Tamanghasset University)

Editor-in- Chief :

Pr. Ramdane.Hinouni

Editorial Team:(English – Français)

1	Baghzou Sabrina	Univ. Khenchela-Algeria	2	BENEDDRA Med. Rachid	Univ. Tlemcen-Algerie
3	MAKHLOUF Kouider	Univ. Chlef Algeria	4	MELOUAH Sabrina	Univ. Annaba-Algeria
5	Senoussi Mohammed	Univ. M'sila-Algeria	6	Abdeldayem Fedaa	Ahram Canadian University, Egypt
7	Amina Abdelhadi	Univ. Tiaret Algeria	8	Houamdi Djamila	Univ. Algers 2

Expertise team: (English – Français)

1	Badreddine Loucif	univ. Khenchela	2	Mohamed Dridi	univ. Ouargla
3	Rachid Chibane	u.c. Tindouf	4	Faiza Dekhir	univ. Tamanrasset
5	Salem Ferhat	univ. Ouargla	6	Hadjira Meddane	univ. Chlef
7	Nacera Idir	univ. Tizi ouzou	8	Mohamed Hattab	univ. Adrad
9	Mounira Hamideche	Univ. Algers2	10	Mohamed Besnaci.	Univ. Lumière Lyon ll France
11	Hicham Belmokhtar	Univ. Tissemssilt	12	Mohamed Amin Dris	Univ. Mascara
13	Asma Bayat	Univ. El oued	14	BOUSBAI Abdelaziz	univ. Ouargla
15	Salah Faid	univ. M'sila	16	FETITA Belkacem Kamel-eddine	univ. Ouargla
17	Guettafi Sihem)	univ. Biskra	18	Hoadjli Ahmed Chaouki	univ. Biskra
19	OUNIS SALIM	univ. Khenchela	20	BENMENNAA HADDAD Meryem	Univ. Biskra
21	Ait Ouarab Massiva	Univ. Alger3	22	BEDJAOUI WAFA	Univ. Alger2
23	AMARNI Asma	Univ. Ouargla	24	Benketaf Abdelhafid	
25	Bentayeb Razika	Univ. Guelma	26	BETOUCHE Aini	Univ. Tizi ouzou
27	Bouzidi Souraya	Univ. Khenchela	28	BEYAT Asma	Univ. El Oued
29	CHAIB Sami	ENS. Ouargla	30	HAFSI Latifa	ENS. Ouargla
31	Guettafi Sihem	Univ. Biskra	32	kharchi lakhdar	Univ. Msila

33	Nouadri Samia ilhem	CU Barika	34	Riadh Boukhetala	Univ. Setif2
35	Sarrah Khouiled	ENS. Ouargla	36	Abdeldjebar Boukhalkhal	Univ. Bechar
37	Achour Hanbli	univ. Tébessa	38	Hamadouche Mokhtar	Univ. Oum El Bouaghi
39	Hamza Boudersa	ENS Const	40	Merine Asma	CU Naama
41	Senoussi Massika	Univ. Ouargla	42	Sid Ali Selama	essa-alger
43	Smaine Khalki	Univ. Bechar	44	Al-Harahsheh Ahmad	Yarmuk Univ-Jordan
45	Amel Benyahia	ENS Const.	46	Houria Mihoubi	Univ.M'sila
47	Soraya Refrafi	Univ. Biskra	48	Ammar Benabed	Univ. Tiaret
49	Nadia Bentaifour	Univ. Mosta.	50	Nouria Ali rabah	Univ. Saida
51	Nassima Amirouche	Univ. M'sila	52	M'hand Ammouden	Univ. Bedjaia
53	Nabila Bedjaoui	Univ. Biskra	54	Farouk Benabdi	Univ. Maskara
55	Ali Nabil	Al Farahidi Univ. Iraq	/	/	/

مجلة كلالات

فهرس الموضوعات

الرقم	عنوان المقال	المؤلف	ص
1	القبيلة، السلطة والجندر– أنساق الهيمنة الثقافية وتجلياتها في الشعر الأموي، قراءة في نماذج	د. خولة ميسي	15
2	الأنساق المضمرة في الخطاب السياسي بين البلاغة العربية والنقد الثقافي	مرزق مصطفى	39
3	البنوية بين العلمية والإيديولوجية	صافية دراجي[1] فرحات لعودي[2]	38
4	البنية السردية في القصيدة الشعبية "العاليا" لـ : سلمان بومدين	رخرور أحمد	50
5	التجربة الصوفية: جماليات البوح وحداثة الكتابة في "صحوة الغيم" لعبد الله العشي	مديحة بشير الشريف	66
6	التمثّل البيكارسكي وتجليات الاغتراب الوجودي في احتراق السراب لمنى بشلم: مقاربة تحليلية	سمراء جبايلي	79
7	الخيال المؤدلج وتمثلات صراع القوى في فيلم K-POP Demon Hunters	جنات زراد1 جيهان كوثر خالدي2	92
8	الخطاب المسرحي الجزائري المعاصر وخصوصيات التّأويل؛ قراءة في مسردية "أنا لست أنا" لعزّ الدّين جلاوجي	د. شيباني محمد	108
9	شعرية العواطف في رواية قناع بلون السماء لباسم خندقجي.	شيماء لعناني	121
10	الخطاب الإشهاري الغربي: مسارات الصناعة ومآلات الهيمنة –قراءة أنساقية في ومضة إشهارية لعلامة "زارا"Zara".	فوزي لحمر	136
11	الخطاب الشعبي في مواجهة السلطة: تمثّلات رجال الدولة والأعيان في "سيرة علي الزيبق"	محمّد بلقوت	147
12	تصدعات الهوية واختلالات الذاكرة في رواية ليل الأصول لنور الدين سعدي	امباركة مسعودي	161
13	آليات تفكيك الصّورة النّمطية لأصحاب العاهات في كتاب الجاحظ "البرصان والعرجان والعميان والحولان"	د.صباح غرايبية	175
14	شِعرية العتبات النصية في رواية "هاء، وأسفار عشتار" لعز الدين جلاوجي	زينب هرويني[1]/ سامية جباري [2]	193
15	مقصديّة السّرد الرّحليّ العربيّ المعاصر	حميدو سارة	205
16	نحو أدبٍ طفوليّ تفاعلي في ظلّ الذكاء الاصطناعي	فاتح عياد	217
17	العري كاستعارة ثقافية: تحليل سيميائي لصراع الهوية في رواية (وأطوف عاريا) لطارق الطيب	ط.د قوقي نعيمة	228
18	انتعاثات وشم الإنسان الأمثل (السوبرمان) في مسرحية المليونيرة لبرنارد شو	عبد القادر فرجاني	239
19	في فضاء الوعي؛ مقاربة لسانية عرفانية في معلقة عنترة بن شداد	د. محمد فارح	256
20	التّوظيف اللّفظي القرآني بين بلاغة الانتقاء ودلالة السياق	زليخة زراولة	267

	– قراءة وصفيّة في الفروقات اللّغوية –		
21	آليات الإغلاق السردي في الرواية العربية: دراسة نقدية لأربعة نماذج	د. مسعود مكيد	283
22	أركيولوجيا المعرفة في فلسفة محمد عابد الجابري– تكوين العقل العربي أنموذجا–	طحار مريم	299
23	اتجاهات النقد المغربي القديم وقضاياها النقدية قراءة في جهود بعض النقاد المغاربة	خالد جخراب	313
24	منهج ابن الشجري في الاختيار وشرح الشعر من خلال مؤلفه "مختارات شعراء العرب"	عمراني حمو[1] د. ليلى جودي [2]	330
25	التغريب الثقافي وأزمة الهوية في الرواية العربية المعاصرة؛ ثلاثية أحمد إبراهيم الفقيه أنموذجا	د. آمال خوالدي	345
26	المثيرات الدّلاليّة للفعل في التّركيب الشّرطي؛ دراسة في الأبعاد النّفسيّة والقيم الحجاجيّة	د/ بلقنيشي علي	359
27	صعوبات الصّناعة المصطلحيّة، المصطلح اللّساني في المعاجم اللّسانيّة العربيّة – أنموذجًا –	أحلام قرقور	373
28	صناعة المعاجم المتخصصة عند الصرفيين؛ معجم الإبدال اللغوي من لسان العرب لـ ممدوح خسارة نموذجا	د. تومي محمد الأمين	384
29	الأستاذ الدّكتور "محمّد خان" وجهوده المعجميّة	إبتسام زريق	400
30	لعبة الضمائر في تائية ابن الفارض: هوية المتكلم بين العاشق والمعشوق	مولاي مخطار	413
31	اشتقاقُ الأَلْفَاظِ الموضُوعَةِ في بابِ السّينِ من مُعجمِ مقاييسِ اللُّغَةِ لابنِ فارس	إيمان شنه[1] / عُمار قلالة[2]	427
32	التحول الرقمي في التعليم وآليات تطبيقه في الجامعة الجزائرية_ من وجهة نظر الطلبة	يمينة زيغام	445
33	الجهود العربية في صناعة المحتوى اللغوي الإفرادي؛ من القوائم اللغوية والرصيد الوظيفي إلى المدونات الرقمية	جيلالي فاسي	460
34	البصمةُ اللّغويّةُ كأداةٍ في اللّسانيّاتِ الجنائيّةِ لكشفِ هُوّيةِ مرتكبِيْ الجرائمِ الإلكترونيّةِ	ط.د وسيلة العايب[1] أ.د وردة بويران[2]	477
35	حروف الاستقبال في الدرس النحوي العربي؛ عددها ومسوّغات إفادتها للاستقبال	د. علي بن فتاشة	493
36	Algerian EFL Teachers' Attitudes towards Embedding Culture to Enhance Learners' Cultural Awareness	Halima Boumaza [1] Mahbouba M esserhi[2]	509
37	Oral Corrective Feedback in the Algerian Tertiary EFL Speaking Classes: Students' Beliefs and Preference	Amin KEBIECHE	524
38	Teachers' Perceptions on the Role of Technology in Promoting Intercultural Communicative	BOULBAIR Salim[1] SOUHALI Hichem[2]	542

		Competence: A Case Study of Civilisation Courses at Mila University Centre	
560	Khedidja Latreche[1] Hind Baadache[2]	The Impact of Pre-School Education on Algerian EFL Learners' Performance in the English Class: A Case Study	39
674	Ternifi Alaa Khadidja	L'autocensure dans la traduction de la littérature de jeunesse : le cas des contes pour enfants	40
596	Mekkaoui Mohamed	Concevoir un mémoire de fin d'études portant sur un projet de création d'entreprise économique en Algérie	41
612	BOUKOUROU Salah Eddine	La révision collaborative d'un texte de spécialité à dominante explicative en contexte universitaire algérien	42
627	Salima RACHEDI	La Véritable Histoire de Riquet à la Houppe : une parodie subversive	43

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة التحرير

تُهي مجلة (إشكالات في اللغة والأدب) عامها الرابع عشر، وتدخل عامها الخامس عشر، وكل أمل طاقمها أن يتوج بترقية إلى الصنف الدولي، كي تواصل خدمتها النبيلة للباحثين وطلبة الدراسات العليا، بما تحققه من مهنية ومصداقية في معالجة البحوث والمقالات الكثيرة والمتنوعة التي تصلها في كل دورة استقبال.

وفي كل الأحوال ستظل المجلة وفية لرسالتها، حريصة على خدمة البحث العلمي داخل الوطن وخارجه، إلا أن التصنيف الدولي يدفعها أكثر إلى المنافسة العلمية، وتحقيق الأفضل كما ونوعا.

هذا، وتشكر هيئة تحرير مجلة (إشكالات في اللغة والأدب) كل الباحثين الذين يعبرون عن شعورهم النبيل تجاه ما تقدمه، وتمنياتهم بترقيتها، وذلك يدفعنا إلى بذل مزيد من الجهد في سبيل خدمة أهداف المجلة بجد وعزم.

ونسأل الله العون والتوفيق.

رئيس التحرير

رمضان حينوني

الخطاب الشعبي في مواجهة السلطة: تمثّلات رجال الدولة والأعيان في "سيرة علي الزيبق"

Popular Discourse in Confronting Authority: Representations of State Officials and Notables in the “Epic of Ali al-Zaybaq"

محمّد بلقوت *
Mohamed belgout
جامعة الشهيد عبّاس لغرور خنشلة (الجزائر)
University Of Abbes Laghrour Khenchela (Algeria)
belgout.mohamed@univ-khenchela.dz

تاريخ الإرسال: 2025/09/15	تاريخ القبول: 2025/10/01	تاريخ النشر: 2025/12/02

مُلخّص البحث

تتبدّى سيرة "علي الزيبق" كفضاء رمزيّ، يلتقي فيه التاريخي بالخيالي، والواقعي بالعجائبي، ويُعاد فيه تشكيل اليومي المعيش في صور حكائية تنبض بدلالات سياسية واجتماعية عميقة، تكشف عن شكل آخر من أشكال المقاومة الشعبية ضد السلطة؛ حيث تتحوّل السيرة إلى مساحة رمزية تعبّر عن رفض التسلّط، وتعيد للجماعة إمكانية تصوّر عالم بديل أكثر حرية وعدلًا.

في ضوء هذا التصوّر، تتأسّس هذه الدراسة في محاولة لاستجلاء الأبعاد السياسية التي تنطوي عليها السيرة عبر النظر في تمثّلاتها لرجال الدولة والأعيان، وربط هذه التمثّلات بالسياقات التاريخية والاجتماعية التي شكّلت إطارًا لإنتاج النصّ وتداوله.

كلمات مفتاحيّة: سيرة شعبيّة، خطاب رمزي، وعي جماعي، سلطة، علي الزيبق.

Abstract:

The “Ali al-Zaybaq” epic emerges as a symbolic space where the historical meets the imaginary, and the real intersects with the marvelous. Everyday life is reconfigured into narrative images imbued with profound political and social significance, revealing another form of popular resistance against authority. In this context, the epic transforms into a symbolic arena expressing the rejection of domination and granting the community the capacity to envision a freer and more just world.

* محمّد بلقوت: belgout.mohamed@univ-khenchela.dz

Against this backdrop, the study aims to explore the political dimensions embedded in the epic by examining its representations of state officials and notable figures, while linking these representations to the historical and social contexts that framed the production and transmission of the text.

Keywords: Popular epic, symbolic discourse, collective consciousness, authority, Ali al-Zaybaq.

مقدمة:

تحتلّ سيرة "علي الزيبق" مكانة خاصّة بين نظيراتها من السير الشعبية، لأنها تقدّم لنا نصّا متميّزا ومغايرا لنمط البطولة المألوف في النصوص الأخرى على غرار: سيرة عنترة، سيرة الزير سالم، سيرة حمزة البهلوان إلى غير ذلك من السير التي يرتكز الفعل البطولي فيها عادة على قيم الفروسية والشجاعة والإقدام في ميادين الوغى، فسيرة علي الزيبق تنأى عن صورة البطولة التقليدية التي تقوم على الفروسيّة والأحداث الملحمية، وتجعل لها من الحيلة والمكيدة أداة للانتصار على الخصوم والأعداء، وأغلب الظن أن استبدال الراوي الشعبي بطولة الفروسية ببطولة الحيلة في سيرة علي الزيبق يرتبط بطبيعة الشخصيّة نفسها، فعلى خلاف الأبطال المعروفين في السير الكبرى: عنترة بن شداد، الزير سالم، الظاهر بيبرس...إلخ؛ الذين كان لهم وجود تاريخي موثّق يشهد على فروسيتهم، فإن علي الزيبق يظّل شخصيّة غير تاريخية بالأساس، فضلا عن أن يكون فارسا معروفا، ومن ثم جاءت البطولة في هذه السيرة مغايرة في طبيعتها، حيث تعتمد بطولة الزيبق على ما يمتلكه من دهاء ومقدرة على الخداع، وكلّ ذلك طبع أجواء السيرة بالطرافة والفكاهة التي جعلتها أكثر قربا من عالم الناس في بساطتهم ومعاشهم اليومي مقارنة ببقية السير الأخرى.

ولئن بدت سيرة علي الزيبق في ظاهرها نصّا مُعدًّا لغاية التسلية والإمتاع بما تحفل به من المغامرات المشوّقة والأحداث الطريفة، فإن باطنها ينطوي على دلالات سياسية واجتماعية شديدة الأهمية، تتمثل في تصويرها لصراع الشعب مع السلطة الغاشمة، ورموزها الفاسدة، ذلك بأن الجماعة التي ابتدعت هذا النوع الأدبي في ظرف تاريخي اتسم باستبداد الحكام، وفساد رجال الدولة والأعيان، لم تكن تمتلك أسباب القوّة الماديّة ولا أدوات المواجهة العسكريّة المباشرة، ومن ثمَّ وجدت في الحيلة والمكيدة معادلا رمزيا لمقاومة السلطة، ومن هنا تتجاوز سيرة علي الزيبق وظيفتها الترفيهية لتغدو نصّا يعكس جدليّة العلاقة بين الأدب الشعبي والواقع التاريخي والسياسي، بما تحمله من تمثيلات لصورة رجال الدولة والأعيان، وما تجسّده من مواقف الشعب تجاه السلطة.

تأسيسا على هذه الإشكالية، يتّجه هذا البحث صوب سيرة علي الزيبق من أجل دراستها باعتبارها وثيقة رمزية تجسّد المقاومة الكامنة في المخيال الجمعي، مركّزا على مساءلة كيفيات تمثيل السلطة في السيرة، ورصد الآليات

السردية والرمزية التي صاغ بها النصّ صورة الصراع بين الشعب والحكام، بوصفه صراعا يتجاوز حدود الحكاية إلى التعبير عن البنية العميقة للوعي الجماعي.

أوّلًا: سيرة علي الزيبق:

تجري أحداث سيرة علي الزيبق في العصر العباسي إبّان خلافة هارون الرشيد، وتتوزّع أهم أحداثها مكانيا بين كبرى الحواضر العربية: بغداد، القاهرة، والشام، حيث تبدأ السيرة بظهور شخصيات محورية سيكون لها الدور الأكبر في صياغة أحداثها، مثل: هارون الرشيد، أحمد الدنف، دليلة المحتالة، سيسبان ابنة "الملك الأبيض"، صلاح الكلبي، وحسن راس الغول الذي تزوج من فاطمة الفيّومية، وأنجب منها ولدًا هو بطل السيرة: علي الزيبق.

ويتبلور الصراع في السيرة منذ البداية حين يتآمر صلاح الكلبي على حسن راس الغول فيقتله غيلة، ويأخذ منه منصب "مقدّم الدرك"* في القاهرة، وعندها تهرب فاطمة الفيّومية بوليدها، وتتوارى لتنشئ ابنها بعيدا عن أنظار الكلبي ورجاله، وبمجرّد بلوغه طور الفتوّة تقرّر إرساله إلى أحمد الدنف، الذي يتولّى تدريبه على فنون "الشطارة والعياقة"**، وما إن يكتسب المهارات اللازمة حتى يبدأ الزيبق صراعه مع صلاح الكلبي، حيث ينتهي هذا الصراع بعزل الكلبي عن منصب مقدّم الدرك في القاهرة لصالح غريمه الذي تفوّق عليه في الحيلة والدهاء، لينفتح المجال هذه المرّة لصراع آخر أطول نفسًا وأشدّ فتكًا بينه وبين دليلة المحتالة التي نازعته طويلًا حول الأحقيّة في منصب مقدّم الدرك ببغداد، أين جرت بينهما جولات طويلة تبادلا فيها الحيل والملاعيب، التي كادت أن تودي بحياة الزيبق في أكثر من مرة لولا التدخّل المتكرّر لأمه فاطمة الفيّومية التي كانت تتنكّر في هيئة الشاطر "ابن البتّان" لتخلصه من قبضتها.

يتغلب علي الزيبق على دليلة المحتالة، ويظفر بالمنصب الذي يقرّبه أكثر من هارون الرشيد، ويصبح الذراع الأيمن للسلطان الذي بات يعوّل عليه في جلّ المهام وأعظمها، بفضل بطولاته وانتصاراته العديدة التي حقّقها للدولة الإسلامية على أعدائها من الفرس، الروم، والحبشة، غير أن نار الخصومة بينه وبين دليلة لم تخمد، حتى بعد زواجه من ابنتها "زينب"، حيث بلغ الصراع بينهما ذروته حين ألّبت دليلة المحتالة الفرس والروم على الدولة الإسلامية، واختطفت حفيديها "حسن" و"أحمد"، فقتلت الأوّل وضاع منها الثاني، فما كان من الزيبق إلا أن ثأر منها منهيا حياتها بعد محاولات كثيرة للإيقاع بها، كانت دليلة المحتالة تنجو منها بفضل دهائها الكبير ومكرها الشديد.

وتختتم السيرة فصول حكايتها بظهور "أحمد أسد الغابة" ابن علي الزيبق، الذي يتسلّم منصب أبيه بعد أن قرّر هذا الأخير العودة إلى بلاده القاهرة، والتفرّغ للعبادة مخلّفا وراءه ابنه وزوجته زينب، لكن زوجته تبعته بعد سماعها بنبأ زواجه من امرأة ثانية وقتلته بدافع الغيرة، قبل أن يقتلها ابنها أحمد، الذي استمر في منصبه مقدّم الدرك في بغداد إلى أن أدركه هازم اللذّات ومفرّق الجماعات على حدّ تعبير الراوي.

بين هذه الأحداث الكبرى، تمتلئ السيرة بحكايات كثيرة متشابكة عن بطولات "فحل الفحول العايق الشاطر علي الزيبق المصري ابن المقدّم حسن راس الغول"[1] في مواجهة الأعداء على الصعيدين الداخلي والخارجي، فضلًا عن مغامراته الكثيرة في عوالم الجن والسحر، والتي عادة ما تكون طلبا لغرض ثمين مثل "صندوق التواجيه" مستعينا بأخته القدريّة/ الأسطورية سيسبان الجنيّة ابنة "الملك الأبيض" التي وُلدت معه في اليوم نفسه، وكلّ ذلك جعل النصّ ثريًا بمزيج من البطولة الشعبية والعجائبية.

ثانيا: صورة رجال الدولة والأعيان في السيرة:

تظهر السلطة في سيرة علي الزيبق في صور متباينة تكشف عن اختلالات ظاهرة، وتناقضات واضحة بين العدالة والظلم، بين النفوذ النزيه والانحراف الأخلاقي والاجتماعي، هذه الشخصيات ليست مجرّد أدوار سردية توزّع بطريقة جزافية، وإنما هي مرآة صقيلة للمجتمع الشعبي، تُظهر كيف ينظر العامّة إلى السلطة وممارساتها، فالشخصية في الأدب الشعبي كما في الأدب الرسمي تتجاوز تلك النظرة القاصرة التي تحصرها في مجرّد أقنعة حكائية أو وظائف بنيوية نصيّة، لأنها تمثّل في –عمقها- صدى لرؤية الشخص أو الجماعة، وكيفية إدراكهم وتفاعلهم مع محيطهم بما فيه من وقائع وممارسات، يضاف إلى ذلك أن الشخصية في السيرة الشعبية تقدّم خطابا احتجاجيا مبطنا، يستثمر الأدوات الشعبية ليعكس وعيا جمعيا، وهذا الأمر يجعل منها عنصرا حيويا، ومكوّنا أساسيا في بنية السيرة الشعبية.

يمكن القول إن هارون الرشيد أبرز شخصية سلطوية في سيرة علي الزيبق، وهو الذي استدعي من متون التاريخ خصيصا لتأدية دور السلطان أو الملك في الحكاية التي تروي السيرة فصولها، ويبدو أن اختيار هذه الشخصية التاريخية المعروفة دون غيرها، راجع إلى كون الخليفة العباسي يمثل نموذجا حقيقيا للسلطة العادلة والحكيمة في الذاكرة الجمعية للمجتمع العربي، خاصّة أن الخلافة الإسلامية شهدت في عهده فترة ذهبية من الرقي الثقافي والسياسي والاقتصادي، وهو ما يفسّر إسَباغ الرواي الشعبي عليه صفات العدل والحكمة والبصيرة، وإظهاره بوصفه "نسقا رمزيا دالًا على الحكم المطلق"[2]، والسيرة الشعبية معروف عنها أنها تعمل في أغلب نصوصها على انتخاب نماذج من شخصيات لها حضور قويّ وأثر إيجابي في التاريخ العربي والإسلامي وتقديمهم في صورة النموذج أو القدوة، لذا فإن حضور هارون الرشيد في السيرة هو تعبير عن حاجة نفسية واجتماعية إلى نموذج القائد الحقيقي الذي يجمع بين قوة الحاكم وعدالته، وبين سطوة الدولة ورعاية الرعيّة، وهو الذي قال فيه "أزدشير" ابن ملك أصبهان ما يدل على أن عدله لا يقتصر على خاصّته، بل إنه يمتدّ ليشمل الغرباء من خارج دولته. يقول أزدشير بن بابك مستغيثا بهارون الرشيد:[3]

أيَظلِمُنِـي الزّمَـانُ وأنـتَ فِيـــهِ وتَـأكُلُـنِي الذِّئـابُ وأنـتَ لَيـثُ
ويَـرْوَى مِنْ حياتِـكَ كُـلّ ظَامِئ وأظمَـــأُ في حِمـاكَ وأنتَ غَيـثُ

بيد أن الدولة كيفما كانت طبيعتها لا تقوم على الحاكم وحده، بل هي منظومة متشابكة تتداخل فيها مؤسّسات الحكم ورجال الدولة والهيئات الدينية والقضائية والعسكرية، وغيرها من الأجهزة التي تشكّل الامتداد العملي للسلطة، ومن ثم فإن صلاح الحاكم وحده ليس شرطا لازما لصلاح الدولة، وإنما الصلاح رهين بشبكة الفاعلين الذين يمارسون أدوارا حيوية كالأعيان، القضاة، رجال الدين، الولّاة...إلخ، والراوي الشعبي ومن خلفه فئة العامّة أدركوا هذا الأمر غاية الإدراك حين صوّروا المفارقة بجلاء: ملك عادل، وتحته رجال دولة وأعيان غارقون في الفساد، فدولة الرشيد في سيرة علي الزيبق خاضعة بشكل كامل لشبكة فساد متجذّرة، يقودها الأعيان الذين يمثّلون طبقة متسلطة مترابطة المصالح، تتحكم في مفاصل الحياة السياسية والاجتماعية، وتتدخل في توجيه السياسات، واتخاذ القرارات، وتضمن حفاظها على هيبتها ومصالحها عبر الممارسات المشبوهة، والمعاملات الفاسدة أين تصبح الرشوة الأداة الأساسية لقضاء المصالح وتثبيت النفوذ، فالمناصب تُشترى بالمال، والأحكام القضائية تُباع لمن يدفع أكثر، والقرارات الإدارية تُحسم وفق حجم الهدايا والرشاوى المقدَّمة، فابن العقاد الذي فقد رتبته كمقدّم درك للشام لم يجد له من سبيل لاستعادة منصبه من "ابن المغربي"

غير رشوة الأعيان حتى يضغطوا على الحاكم من أجل إعادته لمنصبه، حيث نصحه أحد رجاله برشوة الأعيان فصار يقدّم لهم الهدايا والتحف، فقالوا له ننتظر حتى يقع من ابن المغربي زلّة فنعزله ونولّيك مكانه[4].

وليس يتوقف فساد الأعيان في السيرة عند المال، أو التدخل في قرارات الدولة، بل يتجاوزونه إلى ممارسة العنف المباشر ضدّ العامّة من الناس، مستخدمين سلطتهم ونفوذهم، حيث تصوّر السيرة هؤلاء الأعيان في صورة أسياد في مناطق نفوذهم، يتعاملون مع الأهالي بمنطق السيد والعبد، ويستغلون قوتهم لحماية مصالحهم الخاصّة، حتى ولو كان الثمن إذلال المظلومين أو سلب أرزاقهم، أو حتى هتك أعراضهم. يقول الراوي: "فيوم علي الزيبق كان متخفي مرّ على باب الحمّام رأى زحمة فسأل عن الخبر، قالوا له واحد من الأعيان سكران وساحب بنت من الحمام وهي تبكي وتقول أين أهل المروءة فما أحد قدر يخلّصها فلمّا سمع علي ضرب أحمد آغا وقتله قتلة عظيمة وخلّص منه البنت"[5].

في هذا المناخ القمعي، يصبح تمرد علي الزيبق وأفعاله الانتقامية ردًّا طبيعيًا على استبداد هؤلاء، ووسيلة لاستعادة بعض من كرامة المقهورين، فالواقع الذي يجعل القانون تحت سطوة أهل الجاه والسلطان، ويجعل الفقراء عاجزين عن انتزاع أبسط حقوقهم، هو واقع مأزوم يعمّق الفجوة بين الطبقات، ويغذّي روح التمرّد في المخيال الشعبي، وهو بعد ذلك السبب الرئيسي لظهور هؤلاء المتمرّدين الذين يتحدّون هذه المنظومة الفاسدة بعد أن فقدت شرعيتها الأخلاقية والسياسية، وبعد أن تلاشت الثقة في مؤسّساتها، فالتمرّد والثورات مثلما يخبرنا التاريخ لا تأتي من فراغ، وإنما تتشكّل بعد مسار طويل من الإحباط واليأس من إمكانية الإصلاح عبر القنوات الرسمية، وعندما تكون أجهزة الدولة نفسها شريكة في الفساد يصبح اللجوء إلى الثورة الخيار الوحيد المتاح أمام المهمّشين والمستضعفين من أجل استرداد حقوقهم.

إن قضية البنت مع أحمد آغا التي تدخّل فيها علي الزيبق، وانتهت بالطريقة التي ذكرنا كان بالإمكان رفعها إلى قاضي البلاد بدل معالجتها بتلك الكيفية، غير أن القاضي الذي يُفترض أن يكون رمزا للعدالة وحاميا للحقوق، ما هو في الحقيقة إلاّ أداة في يد أصحاب المال والنفوذ من الوجهاء والأعيان، فبدل أن ينتصر للضعيف ويأخذ له حقه من القوي، أصبح مجرّد خادم مطيع للأعيان وأصحاب النفوذ، يوظف سلطته القضائية لخدمة مصالحهم أو لتبرير أفعالهم الجائرة، ولو كان السبيل إلى ذلك شهادة الزور، فقد حدث أن جاءه رجل يشكو يهوديا أخذ منه مصاغا في رهن حدث بينهما، وحين طالبه بإعادة المصاغ بعد سداد ما عليه من مال أنكر اليهودي أن يكون قد استلم من الرجل مصاغا، فذهب شاكيا إلى القاضي الذي لم يجد حرجا في إثبات المصاغ عند اليهودي بشهود زور!! حيث قال لصاحب الشكوى: "غدا ألعن أبو اليهودي وأثبت عنده المصاغ بشهود زور في ديوان الملك"[6].

قد تشكّل فكرة القاضي المزوّر صدمة أخلاقية ومعنوية في سياق ثقافة عربية إسلامية، فليس من اليسر تقبّل فكرة أن يكون القاضي الذي هو رمز العدالة والحارس الأمين للحقوق والقوانين أداة للتزييف والتضليل، لكن سيرة علي الزيبق التي كثيرا ما تلجأ إلى قلب الأدوار والصفات إلى نقيضها كأداة فنية ووسيلة نقد لاذعة، لا تكتفي بهذا القدر من الإدهاش بل تزيد في حدّته حين تمتدّ هذه المرّة إلى شخصية أكثر حساسيّة في الثقافة العربية الإسلامية التي تشكّلت فيها السيرة الشعبية؛ إنها شخصية "المفتي" التي رسخت في أذهان الناس كرمز للورع والتقوى، فسيرة علي الزيبق تكسر هذه الصورة النمطية لشخصية المفتي، حين تقدّمه في صورة الشاذ والمنحرف أخلاقيا، بشكل يوحي بفقدانه لكل معايير

التقوى والوقار التي تبرّر مكانته الدينية، وهي في كلّ ذلك تحاول أن تؤسّس لواقع جديد؛ ميّزه تراجع حادّ في المنظومة الأخلاقية، حيث تآكلت القيم، وتراجعت معايير النزاهة والاحترام. يقول الراوي: "وأمّا علي رجع إلى البيت وبدّل صفة ولد أمرد مثل الورد ياخذ العقل، ثم إنه راح إلى بيت القاضي ودخل رأى المفتي عنده، وكانوا الاثنين بتوع صغار فلما نظروه طارت عقولهم"[7].

هذا القلب الساخر لصفات الشخصيات الرسمية يحمل بين طيّاته معانٍ سياسية واجتماعية عميقة، مفادها أن مؤسّسات السلطة _القضائية والدينية_ لم تعد تمثّل القيم التي أنشئت لأجلها، وإنما تحوّلت إلى أداة لخداع الناس، وتزييف الحقائق، وبذلك تكشف السيرة عن انهيار وظيفة أجهزة الدولة في المخيال الشعبي، إذ لم يعد القاضي ممثلًا للعدالة الإلهية أو الأرضية، بل ممثلًا لسلطة فاسدة تزيّف الحقائق وتلوّن الأحكام بحسب رغبات من يدفع أو يتدخل، وبذلك يتحوّل منصب القضاء من حصنٍ للمظلومين إلى أداة قمعٍ شرعية، من جهة ثانية فإن المفتي بدوره لم يعد ذلك الكائن النوراني الذي لطالما رُسمت حوله هالات القداسة والطهر وإنما هو شخصية غريزية، منافقة، ومثيرة للسخرية والازدراء، وحين تصوّر السيرة الشعبية هذه الشخصيات بتلك الصور والصفات فإنها تنسجم بشكل كبير مع خطابها الناقد لكل مؤسّسات الحكم في زمنها، لتتحوّل إلى خطاب مقاومة ثقافي يفضح النفاق السياسي والاجتماعي، وينتصر لعدالة بديلة يصنعها البطل من خارج الأطر الرسمية.

ثالثًا: موقف الشعب تجاه السلطة:

غالبا ما يُقرأ النصّ في الأدب الرسمي بصفته تجربة شخصيّة، تعبّر عن وعي فردي يختزن هموم صاحبه، ويترجم نظرته الخاصّة إلى العالم، فالشخصيات تتحرّك وفق دوافع ذاتية، ونزوات خاصّة بالمؤلف، والحكم ذاته ينطبق على بقية المكوّنات النصيّة التي تُبنى وتُشكّل بطريقة يغدو معها العمل الأدبي مساحة خاصّة لعرض المواقف الشخصية، وإبراز التوترات النفسيّة الفردية، والاختيارات الذاتيّة، أما النصّ الشعبي فإنه على النقيض من ذلك تماما، فهو يمثّل مشتركا جماعيا، ووعاءً تستقر فيه الخبرات والقيم والأحلام الجماعية، لأنه ينشأ من تفاعل واسع بين الجماعة، وهذه الميزة تجعله أكثر اتساعا وقدرة على استيعاب تجربة جماعية كثيفة، والسيرة الشعبية بحكم انتمائها إلى الأدب الشعبي فإنها تمثّل هي الأخرى فضاءً تعبيريا تمتزج فيه أحلام العامّة وآمالها، ورصيدا رمزيا مشتركا بين أفراد الشعب، وعليه فإن أيّ رؤية أو موقف يتبنّاه البطل في السيرة الشعبية هو في جوهره موقف الشعب بأسره، وليس هو من قبيل النزوع الفردي والرغبات الخاصّة التي تعبّر عنها النصوص الرسمية، والقول بأن البطل في السيرة الشعبية هو "استجابة روائية وفنيّة لأحلام الشعب"[8]؛ يعني أن حضوره النصّي يكتسب قيمته بالقدر الذي يستطيع فيه التعبير عن أحلام الجماعة، وترجمة مواقفها من مختلف القضايا التي تطرحها عبر نصوصها.

في سيرة علي الزيبق يترجم النصّ موقفا شعبيا إزاء السلطة وممارساتها، وهو موقف يعيد من خلاله الراوي الشعبي رسم صورة للسلطة بعيدة عن التمثّلات الممجّدة التي تقدّمها المدوّنات الرسمية، وقريبة إلى المنظور الشعبي الصادق الذي خبر قسوتها، وعاين فسادها، وقد يبدو من القراءة الأولى للنصّ أن بطل سيرة علي الزيبق غير معنيّ بهذه المهمّة النقدية لعلاقته المباشرة بالسلطة، حيث يقف هذا الأخير موقفا وسطا على مستوى الدور الذي يضطلع بتأديته في السيرة، فهو من جهة جزء من جهاز الدولة كونه مقدّم الدرك؛ أي الذراع التنفيذية التي يُناط بها حفظ النظام وتنفيذ أوامر

الحاكم؛ الأمر الذي يجعله قريبا ومقرّبا من السلطان هارون الرشيد، لكنه في الوقت عينه لا يتماهى بشكل كليّ مع السلطة بل يظلّ محتفظا بجذوره الاجتماعية بوصفه ابن العامّة، ما يمنحه شرعية أخرى شعبية تنبع من الدفاع عن مصالح المظلومين ضد رجال الدولة الفاسدين، وبهذا يظهر البطل في السيرة بوجهين؛ فهو ليس خارجا عن النظام، كما أنه ليس خادما أعمى للسلطة، وإنما يتحرّك في منطقة رمادية بين السلطة والشعب من أجل إعادة التوازن بين هذين المكوّنين الاجتماعيين.

لكن انتماء علي الزيبق إلى السلطة بصفة مقدّم درك هو في تصوّرنا انتماء شكلّي فقط، استغل فيه الراوي الشعبي بعض الوقائع المثبتة في الكتب التاريخية، والتي تقول باستعانة السلطة السياسية في لحظات ضعفها أو عند اشتداد الصراع بطوائف اللصوص والمجرمين لتقوية نفوذها أو لقمع خصومها***، ثم قام بتضخيم هذه الفكرة ليعطي لشخصياته مصداقية وقبولا لدى المستمعين والقرّاء الذين دائما ما نظروا إلي علي الزيبق، وغيره من طوائف اللصوص وقطاع الطرق على أنهم مجرد متمرّدين، وخارجين عن القانون، منذ صعاليك الجاهلية إلى زعر وحرافيش الخلافة المملوكية والعثمانية، وبالتالي فإن ارتكاز الراوي الشعبي على الحوادث التي استعانت فيها السلطة بهؤلاء اللصوص في مرّات معدودة _أغلب الظن أنها كانت مضطرّة فيها_ وإعطاء بطل حكايته صفة تقرّبه من السلطان "مقدّم درك"؛ هي في اعتقادنا محاولة تهدف إلى تلميع وتجميل صورته لدى المتلقين حتى يتقبّلوه في صورته الشعبية "بطل"، بديلة عن صورته الرسمية "لصّ وقاطع طريق".

في المقابل تحتفظ السيرة الشعبية لبطلها علي الزيبق بالصفة الأساسية التي عُرف بها الشطّار والعيّارون في المدوّنات الرسمية "لصّ وقاطع طريق"، مع إضفاء بعض الملامح البطولية والثورية لتقدّم لنا ما يشبه وثيقة احتجاجية ضدّ رجال الدولة وأعيانها، وهي وثيقة تنبع من قناعة جماعية راسخة، وموقف شعبي موحّد يرى أن التدرّج في أركان السلطة لم يعد متّصلا بشروط الكفاءة أو الاستحقاق، بقدر ما هو مبنيّ على الفساد، حيث بلغت سخرية الراوي الشعبي من رجال الدولة والأعيان وتهكّمه عليهم إلى حدّ القول بأن الحمّار أو القرّاد يمكن أن يصبحا ولاّةً، ما دام المنصب لا يحتاج إلى شروط العلم، والعدل، والصلاح بقدر ما يحتاج إلى ولاء للحاكم، أو قدرة على خداع الناس، أو حتى على التملّق والتزلّف. يقول الراوي على لسان إحدى شخصيات السيرة: "ما هي كثيرة على علي الزيبق لأن مصر القاهرة الحمّار فيها ولي، والقرادّ يكون ولي فكيف علي الزيبق محسوب على السيّدة ما يكون ولي فقال القاضي كلامك هذا صواب"[9]، فهذا القول ينهض على مفارقة مزدوجة، لأنه يوظّف لفظ الوليّ في معنى ظاهر المقصود منه الدلالة الصوفية المرتبطة بالولاية الروحيّة، حيث يربط البطل بشخصيّة السيّدة الصالحة "زينب بنت عليّ بن أبي طالب" التي تحرس البطل وتمنحه الحماية، ومن جهة ثانية يستثمر معنى رمزيا سياسيا للفظ الوالي لتضخيم صورة الفساد المتوغل في دواليب السلطة بأسلوب تهكمي لاذع، يشبّه فيه رجال الدولة بالحمّارين أو القرّادين الذين يمكنهم _في ظل الخلل الحاصل في السلطة_ أن يصبحوا ولاّةً، وهذا التشبيه الساخر يعكس قناعة لدى العامّة بأن معايير تولي المناصب أصبحت قائمة على الفساد لا على العلم، والأخلاق، والكفاءة.

من هنا يتضح كيف أن سيرة علي الزيبق تُوظّف المفارقة الساخرة لتعبّر عن موقف شعبيّ واضح من السلطة؛ وهو موقف يتجاوز رجال السلطة في صفاتهم إلى بعض ممارساتهم التي ترفضها العامّة لظلم فيها، قد يقع من السلطان

نفسه، فقد حدث أن أظهر أحمد أسد الغابة؛ وهو ابن علي الزيبق وخليفته في منصب مقدّم الدرك تمرّدا ظاهرا، وتحدّيا حاسما للسلطان هارون الرشيد حين رفض دفع الخراج الذي تفرضه الدولة الإسلامية على جميع البقاع التي تقع تحت سلطتها، حتى وصل به هذا التمرّد إلى حدّ تهديد هارون الرشيد بانتزاع ملكه منه، لأنه رأى أن هذه المغارم والجبايات ضرب من الظلم، ولا يصحّ فرضها على الرعيّة من المسلمين حيث قال أحمد أسد الغابة موجّها كلامه إلى "الأمير حسن" مبعوث هارون الرشيد: "روح إلى عند الرشيد وقل له لابد ما يركب عليك أسد الغابة، ويوريك كيف تلم المال من المسلمين لأن الخراج لا يكون إلّا على أعداء الدين"[10].

هو موقف آخر يبديه الراوي الشعبي هذه المرّة من ممارسات السلطة الجائرة، حيث يرى أن الضرائب التي تفرضها الدولة على الرعيّة تمثّل عبئا إضافيا يلقى على كاهل المسلمين، وأن إلزامهم بدفعها يكشف عن انحراف الحكام عن جادّة الصواب، لأنهم بمطالبتهم للمسلمين بما لا حقّ لهم فيه، قد جعلوا من الضرائب وسيلة لاستنزاف قوت الناس بدل أن تكون أداة لحماية الجماعة وصون مصالحها، وعليه فقد كان الأدعى _حسب الراوي الشعبي دائما_ أن تقوم السلطة باستخلاص الجباية من أعداء الدين من غير المسلمين فقط بوصفها غنيمة أو جزية مشروعة، أمّا أن يتمّ فرضها على الجميع بمن فيهم المسلمين فليس ذلك من العدل في شيء، وإنما هو الظلم عينه الذي تأسّس هذا النصّ خصيّصا من أجل مواجهته في سعي إلى إعادة الاعتبار للعدالة الدينية والاجتماعية.

إن مثل هذه الممارسات التي أفرغت جيوب الشعب من البسطاء، هي دليل آخر على فساد رجال الدولة والأعيان وعدم كفاءتهم في تسيير شؤون الرعية، وهي أيضا السبب الذي جعل البطل وأتباعه من الزعر والحرافيش يمتهنون السرقة والنهب؛ الذي يستهدف رجال الدولة والأعيان دون سواهم، فالسيرة مع ما فيها من التناقضات والمفارقات التي هي من السمات الأساسية للأدب الشعبي، دقيقة جدا في هذه النقطة بالذات؛ أقصد ربط حالات السرقة والنهب بالأعيان ورجال الدولة، من أجل أن تعطي لأفعال أبطالها مشروعية مستمدّة في الأصل من ظلم هؤلاء وفسادهم، وعلى الرغم من أن هذه الأفعال تعدّ من منظور القانون الرسمي سرقة وتهجما، إلّا أن السيرة الشعبية تمنحها بعدا رمزيا، حين تصوّر شخصياتها الرئيسية بصفات الأبطال، الذين يستغلّون مهاراتهم في التنكّر والمراوغة والمكيدة للإيقاع باللصوص الحقيقيين الذين يختبئون وراء الشرعية والقانون، ومن ثمَّ فإن علي الزيبق "يمثل انتفاضة الشعب على هؤلاء الحكّام، وضرورة عقابهم عقابا صارما، وهو عقاب يستعمل نفس أسلحتهم التي يشهرونها ضدّ طبقات الشعب الأخرى التي لا يحسّون بها ولا بمعاناتها، فإن كانوا هم لصوصًا، وصل فُجرهم إلى حدّ الاحتماء بالقانون- فالبطل هنا لصّ يتحدّاهم، ويتحدّى القانون الذي وضعوه"[11].

لقد تحوّل علي الزيبق من مجرّد مغامر شعبي إلى رمز للمقاومة ضدّ هذه المنظومة الفاسدة، وحاملا لرايات العدل، حتى ولو جاء هذا العدل بوسائل عنيفة وغير مشروعة من المنظور الرسمي، فالتنكر والاحتيال والخداع والسرقة كلّها أساليب غير مشروعة حين تُوزن بميزان الثقافة الرسمية، لكن العقل الشعبي الذي أنتج هذه السيرة وغيرها من السير الأخرى، وروّج لها بين العامّة يشتغل بمعيار ميكيافيليّ هدفه تحقيق الغاية بأيّ وسيلة كانت، وحين تكون الغاية إنصاف المظلومين وكسر شوكة الأعيان ورجال الدولة الفاسدين، فإن الوسائل مهما بدت غير قانونية، فإنها تكتسب مشروعيتها

داخل المخيال الشعبي، الذي يعيد صياغة المعايير والقيم بحيث تصبح اللّصوصيّة والمكر والخداع صفات مقبولة، لأنها السبيل الوحيد لتحقيق العدالة المنشودة في ظلّ سلطة ظالمة ومتواطئة.

رابعا: رمزية الصراع بين الشعب والسلطة:

هناك ثلاث نقاط أساسية ينبغي معرفتها حول النصوص السير شعبية: الأولى: أن السيرة الشعبية ليست للتسلية العابرة أو امتاع المستمعين فحسب، بل إنها تتوفّر على درجة عالية من الجديّة والخطورة معا، لأنها تعالج قضايا واقعيّة حسّاسة، تعبّر عن هموم الجماعة، وتحفظ تجاربها التاريخية، ما يجعلها وثيقة سياسية وتاريخية في شكل أدبي. الثانية: أن السيرة الشعبية وإن كانت تتكئ في أغلب نصوصها على مادّة حكائية تاريخية فإنها لا تمثّل مجالا ممكنا لاستقصاء الوقائع التاريخية، لأن القاصّ الشعبي لا يروي التاريخ الذي مضى، ولا يكتب تاريخا للماضي، بل يروي بشكل أدبي تطلّعاته وأمانيه، مستعينا بالمادّة التاريخية[12]. ثالثا وهذا الأهم: أن السيرة الشعبية ذات بعد رمزي يتجاوز الحكي المباشر إلى وظيفة أعمق هي مساءلة الواقع ونقده، فهي وإن بدت في ظاهرها استعادة لشخصيات ووقائع ماضية إلا أنها في حقيقتها تعيد توظيف هذه الشخصيات والأحداث بوصفها تمثيلات رمزية تحجب تحتها إشارات واضحة إلى أوضاع معاصرة لزمن تشكّلها.

في هذا السياق تبرز سيرة علي الزيبق كواحدة من أكثر نصوص السيرة الشعبية رمزية، وهي التي جعلت من شخصياتها أقنعة فنيّة لتجسيد صراع الشعب مع السلطة، وتكشف تحوّلات واقعها الاجتماعي والسياسي، ولذلك فإنه من المهم جدًّا أن ندرك أن السلطان ورجال الدولة والأعيان الذين تصوّرهم السيرة ليسوا انعكاسا أمينا لرجال الخلافة زمن الرشيد، وبالتالي فإنه من غير الصائب أن نقرأها على أنها نقد مباشر للشخصيات التاريخية التي اعتمدتها في بنائها الحكائي، إذ ليس من المنطقي أصلا أن يقدم الراوي الشعبي على انتقاد واحدة من أكثر فترات الخلافة الإسلامية قوّة وتوهّجا، ولا أن ينقد سلطة على رأسها خليفة لطالما ارتبط اسمه في الوعي الجمعي بصورة العدل والهيبة، وكيف يفعل وهو الذي صوّره كمثال ونموذج للحاكم العادل مثلما تقرّر لدينا في مرحلة سابقة من هذه الدراسة؟! إن حضور شخصية هارون الرشيد في السيرة لا يُفهم في بعده التاريخي المباشر بل في بعده الرمزي الذي يجعلها قناعا فنيّا تسقط عليه الجماعة الشعبية مواقفها من واقعها المعيش، ومن ثم فالنقد الموجّه للسلطان وأعوانه في السيرة ليس موجّها إلى خلافة الرشيد العباسيّة، ولا إلى رجال دولته، وإنما إلى رجال الحكم في الزمن الذي تشكّل فيه نصّ السيرة. فما هو هذا الزمن؟ ومن هم رجاله؟

المُراد بزمن تشكّل السيرة الفترة التي اكتسبت فيها هذه النصوص السير شعبية ملامحها الكبرى، كسير مكتملة البناء بشخصياتها، وأحداثها، ومادّتها التاريخية الغنيّة بالرموز المعروفة، حيث دخلت نصوص السيرة الشعبية في هذا الزمن طورا جديدا جعلها قابلة للتدوين في الصورة التي انتهت إلينا، وتحوّلت من نصوص شفوية متناثرة، غير مكتملة البناء إلى ملاحم شعبية مطوّلة، وهذا الزمن يمكن حصره _تقديريا_ بين القرنين السابع والتاسع الهجريين، بناءً على مُعطًى معيّن حاصله أن هذا الحيّز الزماني عرف العديد من التحوّلات التي عبّرت عنها نصوص السيرة الشعبية، على صعيد الحياة الاجتماعية، والتاريخية، والثقافية العربية الإسلامية[13]، وهي تحوّلات سلبية ارتبطت بضياع الأندلس غربا، وسقوط بغداد، ثم انتقال مركز الخلافة الإسلامية إلى المماليك شرقا، وما رافق ذلك من تزايد لنفوذ رجال الدولة من

العنصر الأجنبي، ما يفسّر الحضور الكثيف للألقاب والرتب الأجنبية في سيرة علي الزيبق على غرار: "المقدّم"، "الآغا"، "الخواجة"... وغيرها من الألقاب التي تصف رجال السلطة الأجانب الذين مارسوا أشكالا متعدّدة من الاستغلال في ظلّ تواطؤ السلطة المركزية.

هذا هو الزمن الذي ترويه سيرة علي الزيبق وليس زمن هارون الرشيد كما قد يوحي ظاهرها؛ إنه زمن الخلافة المملوكية، مثلما يذهب إلى ذلك فاروق خورشيد حيث يقول: "الإفراز الفنيّ لعلي الزيبق كبطل لسيرة شعبية كان انعكاسا لحاجة فنيّة، ونستطيع أن نقول عضويّة لوضع مجتمعي عاشه الشعب الإسلامي في عهد المماليك"[14]، ففي هذا العهد تشكّلت السيرة الشعبية ــ بما فيها سيرة علي الزيبق ــ كنوع أدبي طارئ جاء استجابة لظروف ومعطيات تاريخية استثنائية، تميّزت بتفاقم الأزمات السياسية، والاجتماعية، التي أدت إلى انتشار الفقر بين أوساط العامّة من الناس، والذين وجدوا في هذا النوع الأدبي تعويضا رمزيا، عن حالة الانكسار والتهميش التي استشعروها في ظلّ سلطة أجنبية، ظالمة، وعنصرية، حيث قاموا بابتداع عالمٍ موازٍ يتحقّق فيه العدل، وينتصر فيه الضعفاء، ليواجهوا به واقعهم المأزوم، وانتخبوا لهذه الغاية شخصيات معروفة في التاريخ العربي والإسلامي قلّدوها دور البطولة، وأعادوا عبرها صياغة صورة العدل المفقود، وحقّقوا من خلالها انتصارا رمزيا للمقهورين على القوى المتسلّطة التي تسببت في تآكل هيبة الخلافة، وتضعضع أحوالها الاجتماعية والاقتصادية بسبب سياستها الفاشلة في تسيير شؤون الرعيّة.

فمع نهاية القرن التاسع عشر أصبحت أمارات زوال حكم المماليك أكثر وضوحا من ذي قبل، بسبب عجز سلاطين الخلافة الإسلامية عن مواجهة التحديات الداخلية والخارجية، وقد كانت إحدى أبرز هذه التحديات اعتلال الحالة الاقتصادية للدولة، نتيجة لفشل أرباب السلطة في تدبير أمور الدولة، وعوض البحث عن حلول حقيقية وناجعة لهذه الوضعية فرضت الدولة أشكالا وألوانا من الضرائب والجبايات على الشعب دونما مراعاة لقدرتهم وظروفهم المعيشية من أجل دفع رواتب جيوشها وأتاواتهم، وقد عُرفت هذه الضرائب التي أسهمت في تدهور المستوى المعيشي للشعب بتسميات عدّة من قبيل: المغارم، الكلف، المظالم، وغيرها من الأسماء التي تعكس رأي الناس فيها[15]، وهو رأي عبّر عنه الراوي الشعبي في سيرة علي الزيبق بشكل أقرب إلى التصريح منه إلى التلميح، حين التقط فكرة الضرائب والمغارم، وجعلها جزءا من النسيج السردي (حكاية أحمد أسد الغابة مع هارون الرشيد)، رافضا إياها، ومبرزا موقف الجماعة الشعبية منها، ما يثبت أن هذه الأعباء كانت إحدى دوافع المقاومة الرمزية التي يجسّدها البطل الشعبي في مواجهته لأعوان السلطة وأدواتها القمعية.

والحقيقة أن ظلم السلاطين لم يتوقّف عند حدود فرض الجبايات على البسطاء من الطبقة الضعيفة، وإنما تجاوزه إلى ممارسات أخرى أشد ظلما وعنصرية منها، سن نظام إقطاعيّ منح امتيازات خاصّة لرجال الدولة من المماليك الوافدين الذين تقاسموا الأراضي الزراعية، وتركوا للعامّة أمر زراعتها وتسليم محاصيلها لهؤلاء السادة الجدد!![16] الأمر الذي أدى في النهاية إلى تشكّل بنية مجتمعية غير متوازنة، تكرّست فيها التناقضات الحادّة بين أهل السلطان من سلاطين وأمراء وقوّاد وبين جمهور العامّة من الناس، فتعمّق الشرخ الطبقي، وأضحى الفارق بين هذين المكوّنين سمة بارزة للحياة الاجتماعية، وكلّ ذلك ساعد على تأمين الجوّ المناسب لظهور طوائف اللصوص وقطّاع الطرق، الذين امتهنوا السرقة وقطع الطريق على الأعيان والوجهاء من رجال الدولة، كما يخبرنا عن ذلك المؤرخ "ابن تغري بردي" حيث يقول: "وفي

يوم الخميس تاسع رجب المذكور وقعت حادثة غريبة: وهي أن جماعة من العربان قطّاع الطريق جاؤوا من جهة الشرقية حتى وصلوا إلى قرب باب الوزير، ثم عادوا من حيث جاؤوا، وصاروا في عودهم يسلبون من وقعوا به من الناس، فعرّوا جماعة كبيرة من بين فقهاء وأعيان وغيرهم"[17].

إن هذه المعطيات التاريخية مهمّة جدا في فهم السياق الذي حدث فيه هذا القلب المتعمّد لصورة اللّص وقاطع الطريق إلى بطل في المخيال الشعبي، فالسيرة الشعبية وهي نصّ تخييلي محكوم بآليات الوعي الجمعي، تعيد إنتاج صورة قاطع الطريق بطريقة مغايرة، يتجاوز فيها هذا الأخير صفته الرسمية ويتحوّل إلى بطل شعبي بدعوى أن فعله الاحتجاجي موجّه نحو الأعيان ورجال الدولة فقط، بما يمثلونه من رموز للسلطة الفاسدة، وبهذا يكتسي فعل الجريمة الاجتماعية طابع المقاومة الرمزية، ويغدو السلب في المخيال الشعبي فعلا مشروعا بل وضروريا من أجل إعادة التوازن المفقود بين الشعب والسلطة، حتى أن الراوي الشعبي لجأ إلى التبرير الأخلاقي لفعل السرقة، حين قدّمه مقترنا بشرط قيمي إضافة إلى شرطه السياسي ليخفف من وطأته كفعل مرفوض، فالخطّاف الأعرج؛ وهو أحد رجال علي الزيبق المقربين كان "كلما دخل زقاق يعطي أذنه إلى الأبواب حتى يشوف أحد غفلان عن ذكر ربّه يدخل يسرق"[18]، وكما ترى فإن السرقة هنا أضحت بفعل شرطها القيمي ضربا من العقاب الأخلاقي الذي يقع على من انحرف دينيا، أو قصّر في واجبه الروحي.

هذا التوظيف السردي زيادة على إضفائه الشرعية على فعل السرقة، فإنه يمنح للصراع مع السلطة بعدًا آخر دينيا وأخلاقيا، يعزّز قوة حضور المقاومة في المخيال الجمعي، ويجعلها تمتد إلى الفساد الديني الذي مثّلته شخصية المفتي خير تمثيل بانحرافها الأخلاقي؛ وهي أعلى هيئة دينية وأخلاقية في الدولة، وبذلك يُدرَك التمرّد في بنيته العميقة لا كفعل معزول وغير مبرّر، وإنما كخطاب مضاد يتأسّس على منازعة النظام في مشروعيته السياسية والدينية، ومن ثم فإن فعاليته لا تتحقّق إلا بمواجهة سلطة تدّعي امتلاكها لمرجعية دينية وسياسية، إذ إن استهداف الأشخاص والهيئات الرسمية بعيدا عن المبرّرات المقدّمة يفرغ فعل التمرّد من طابعه الرمزي ويحوّله إلى مجرد فعل عدائي دون حمولة دلالية، وعبر هذه الفكرة الجوهرية تكتسب الشخصية الشعبية شرعيتها، وتصبح أكثر قبولا بعد أن قدّم لها الراوي الشعبي المبرّرات التي تجعل القرّاء يتقبّلونها بتناقضاتها، في إطار استراتيجية سردية مقصودة، تضمن للنصّ الاحتفاظ بقدر من العقلانية، التي تبقي المتلقي في حالة من التماهي مع شخصياته المركزية.

بهذه الكيفية تشكّلت سيرة علي الزيبق كفضاء رمزي أفرغ فيه الراوي الشعبي ما استشعره من مشاعر القهر والظلم، والغضب والرفض، حيث استطاع أن ينقل عبر الحكاية صراعه مع السلطة إلى مجال أكثر رحابة أتاح له ولجمهور العامّة، التعبير عن موقفهم بكل حريّة ضامنها الأساسي الطابع الإيحائي للحكاية، فالسيرة خطاب مزدوج، يخفي خلف قناع الهزل والتسلية جدّية عميقة في تمثيل موقف الشعب من رجال الدولة وممارساتهم السلبية، ولهذا يمكن اعتبارها منفذا وجدانيا أشبع حاجة الجماعة إلى عدالة غائبة، وأعاد إليها توازنها الداخلي، عبر أبطال شعبيين منتخبين واجهوا ظلم السلاطين وفساد الأعيان، وحقّقوا للشعب عبر الخيال ما عجز عن تحقيقه في الواقع، وبذلك استطاع النصّ أن يجمع بين وظيفتين أساسيتين: فهو من جهة أدى دور المقاومة الرمزية ضد السلطة، ومن جهة ثانية حقّق توازنا نفسيا لجماعة مقهورة، كتعويض نفسي وجماعي عن الاحباطات السياسية والاجتماعية التي عايشتها، ومن هذا المنظور تتجلّى سيرة

علي الزيبق كآلية تمثيلية استثمرت مشاعر القهر في نصّ أدبي، زاوج بين البعدين النفسي والسياسي بطريقة منحت للسيرة قيمتها الرمزية المتجدّدة في الذاكرة الجماعية.

خاتمة:

خلصت هذه الدراسة الموسومة بـ: "الخطاب الشعبي في مواجهة السلطة: تمثّلات رجال الدولة والأعيان في سيرة علي الزيبق" إلى جملة من النتائج التي يمكن إجمالها فيما يلي:

- إن سيرة علي الزيبق ليست مجرد نص للتسلية، بل هي خطاب رمزي يعبّر عن رفض شعبي للسلطة الغاشمة ورموزها الفاسدة.
- تكشف السيرة عن تمثيلات متباينة لرجال الدولة والأعيان، أغلبها ساخرة وناقمة، ما يجعلها وثيقة احتجاجية ضدّ الظلم.
- تبرز في السيرة آليات المقاومة الرمزية من خلال توظيف الحيلة والمكيدة والتنكّر، بدل القوة المادية، بوصفها أدوات للانتصار على هيمنة الدولة.
- يتجسّد في شخصية البطل الشعبي نموذجٌ مغاير للبطولة التقليدية، حيث تتحوّل الشطارة والمكر إلى قيم بديلة للفروسية بما يعكس تحوّلات الوعي الجمعي.
- تمثل السيرة نصًّا تاريخيًّا- تخييليًّا يربط بين واقع الجماعة المقهورة وبين المخيال الشعبي، مما يمنح المجتمع إمكانية تخيّل عالم أكثر عدلًا وحرية.
- توثّق السيرة أزمة العلاقة بين الشعب والسلطة، وتمنح المخيال الجمعي قدرة على إعادة صياغة قيم بديلة ومشروعة.

إجمالا، يمكن القول بأن سيرة علي الزيبق تعتبر نصّا شعبيا نابضا بروح المقاومة، أعاد صياغة علاقة المجتمع بالسلطة من خلال لغة رمزية اتخذت من الحكاية أداة للاحتجاج والتعبير، فهي تبرز طاقة المخيال الجمعي في إنتاج بديل للتاريخ الرسمي، حيث تتحوّل البطولة من مجرد مغامرة مسلّية إلى فعل دالٍ على رفض الظلم، واستعادة كرامة البسطاء، وتوكيدٍ لإمكان قيام عدالة من نوع آخر، فالسيرة تعدّ بحق مرجعا ثقافيا يختزن رؤية الناس لعالمهم، ويثبت قدرتهم على تحويل الحكاية إلى سجلّ حيّ للذاكرة الجماعية وقيمها المقاوِمة.

هوامش:

*_ هناك الكثير من المصطلحات التي ترد في السيرة أو في سياق الحديث عن شخصياتها المركزية، والتي لابدّ من بيان المقصود منها:

مقدّم الدرك: مقدّم الدرك: بفتح الدال المشدّدة، هو في الأصل رجل بباب الوالي يكون بالمرصاد للّصوص، وفي السيرة بمعنى مدير الأمن أو الشرطة، واختيار المجتمع الشعبي وأصحاب السير لهذا «المقام» أو المنصب لا يخلو من دلالة، فالقائمون على هذا المنصب بيدهم تطبيق القانون أو التلاعب به، فهو من هذه الناحية يعكس سيادة القانون أو غيابه.

الشاطر: وجمعه شطّار: طوائف من اللّصوص الذين يتّصفون بالقوّة الجسديّة والعقلية، كما أنهم معروفون بشدّة الدهاء والمكر والخداع.

الزّعر: اللّصوص الخاطفون الماردون، والزعارة شراسة الخُلق.

العيّاق: يُقال رجل عائق؛ أي المانع الذي يعوق الطريق ويقطعه على الناس (قاطع طريق).
العيّار: وجمعه العيّارون: الذين يتردّدون بلا عمل، والعيّار أيضا كثير التطواف والتجوال.
الحرافيش: الحرفوش ذميم الخَلق والخُلق، أو هو المقاتل والمصارع واللّص. ينظر: مؤلّف غير معروف، (2016)، سيرة علي الزيبق، تقديم ودراسة: محمد سيّد عبد التّواب، د.ط، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص: 25_ 27.

**_ لا تتقيّد السيرة الشعبية بالقواعد المعيارية للغة العربية بشكل دقيق، وهذا أمر طبيعي لأنها نصّ شعبي من نتاج العامّة، وقد فضّلنا نقل الاقتباسات بأخطائها اللغوية حفاظا على أصالة النصّ.

1_ سيرة علي الزيبق، ص: 99.
2_ ضياء الكعبي، (2005)، السرد العربي القديم_ الأنساق الثقافية وإشكاليات التأويل، ط1، بيروت، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر، ص: 261.
3_ سيرة علي الزيبق، ص: 7.
4_ ينظر: سيرة علي الزيبق، 75.
5_ سيرة علي الزيبق: ص: 61.
6_ سيرة علي الزيبق، ص: 106.
7_ سيرة علي الزيبق، ص: 105.
8_ فاروق خورشيد، (1994)، أدب السيرة الشعبيّة، ط1، القاهرة، الشركة المصريّة العالمية للنشر، ص: 112.

***_ أوضح مثال على استعانة السلطة باللّصوص وقطّاع الطرق ما وقع بين الأمين والمأمون، حيث يذكر ابن الأثير في حوادث سنة 196هـ أن الأمين حين رأى كفّة الصراع تميل لصالح أخيه، قام بإخراج اللصوص والمجرمين من السجون وجيّشهم لمحاربة المأمون. يقول: "ورأى الأمين أقوامًا ليس عليهم لباس الجند، وأمرهم بأخذ السلاح، فانتهبته الغوغاء، ونهبوا غيره، وحُمل إليه الحسين أسيرا، فلامه، فاعتذر له الحسين، فأطلقه، وأمره بجمع الجند، ومحاربة أصحاب المأمون". عزّالدين أبي الحسن علي ابن الأثير، (2012)، الكامل في التاريخ، تح: عمر عبد السلام تدمريّ، ج5، بيروت، دار الكتاب العربي، ص: 429.

9_ سيرة علي الزيبق، ص: 109.
10_ سيرة علي الزيبق، ص: 179.
11_ فاروق خورشيد، أدب السيرة الشعبية، ص: 111.
12_ ينظر: سيف محمّد سعيد المحروقي، (2010)، نماذج إنسانيّة في السرد العربي القديم، ط1، أبو ظبي، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، ص: 211.
13_ ينظر، سعيد يقطين، (1997)، قال الراوي_ البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، ط1، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ص: 224.
14_ فاروق خورشيد، أدب السيرة الشعبية، ص: 113.
15_ ينظر: قاسم عبده قاسم، (1994)، عصر سلاطين المماليك، ط1، بيروت، دار الشروق، ص: 12.
16_ ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
17_ ابن تغري برديّ، (د.ت)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج16، مصر، المؤسّسة المصريّة العامّة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ص: 106_107.
18_ سيرة علي الزيبق، ص: 95.

قائمة المراجع:

1. مؤلّف غير معروف، (2016)، سيرة علي الزيبق، تقديم ودراسة: محمد سيّد عبد التّواب، د.ط، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
2. ضياء الكعبي، (2005)، السرد العربي القديم_ الأنساق الثقافية وإشكاليات التأويل، ط1، بيروت، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر.
3. فاروق خورشيد، (1994)، أدب السيرة الشعبيّة، ط1، القاهرة، الشركة المصريّة العالمية للنشر.
4. عزّالدين أبي الحسن علي ابن الأثير، (2012)، الكامل في التاريخ، تح: عمر عبد السلام تدمريّ، ج5، بيروت، دار الكتاب العربي.
5. سيف محمّد سعيد المحروقي، (2010)، نماذج إنسانيّة في السرد العربي القديم، ط1، أبو ظبي، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث.
6. سعيد يقطين، (1997)، قال الراوي_ البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، ط1، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي.
7. قاسم عبده قاسم، (1994)، عصر سلاطين المماليك، ط1، بيروت، دار الشروق.
8. ابن تغري برديّ، (د.ت)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج16، مصر، المؤسّسة المصريّة العامّة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.